

من أطرف ما قرأت

ميليزاند الأميرة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

« لن أنتم بالحب إن لم أنتم بها ، لأنى ما رأيت سيده أنبل
ولا أحسن منها ... آه ، يا ليتنى كنت عبدا لها ! »

« اللهم يا من خلقت كل شيء ... كل ما يموت ويحيا ،
صل أسبابى بأسبابها ، فى أى مكان شئت ! »

تلك كانت أغانيه . إن فيها حنيناً ولوعة ، كأنها نقات من
نقات مالارميه أو فيرلين

وما زال (روديل) يسى حتى سافر مع أهل الصليب .
وقطع طريقه يبنى ، ومعنى نفسه بجلالة التقاء . وما كادت
الباحرة تقرب من طرابلس حتى فاض سروره وزاد وجده . لقد
كاد يرى ميليزاند ! وها هو ذا قصرها يتنادى الناس . فيغلب
عليه الوجد ، ويعطى عليه الفرح ، فيعمل ويعرض ، ويحمل إلى
الديانة ، ويوضع فى كوخ حقير ، وهو يلفظ أنفاسه

وأمرعوا إلى الأميرة الحسنة فحدثوها عنه « لقد كان يبنى
مع الموج أغنيات حبه ، وكان ما يفتأ يلهمج بأسمك ويسبح
بجهاك ... » نغمت إليه . ولما اقتربت منه ، وأستندت إلى صدرها
رأسه ، دبت فى جسمه الحياة ففتح عينيه ، وأرهف أذنيه ،
وتدفق الدم فى خديه ، وجلس يسمعها أشعاره ، ويؤنسها بأغانيه
فتطرب ميليزاند ، وتنحنى فتقبل بشرها الريان فه وشفتيه

وعجب الناس من الأميرة كيف تحبى الوقى ، وعجبوا من
الماشق الميت كيف يحيا ... ؟

وما أشبه ميليزاند ، بمحبوبة الأعشى التى قال فيها :
لو أستندت ميتاً إلى صدرها عاش ولم يُنقل إلى قبر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر !
وأخذ (روديل) يحببها عن نهيامه وتحنانه ، وأخذت
تطرفه بأعذب الأحاديث ، حتى إذا قص عليها كل شيء وأسمها
كل شيء ، عاد ، فأغمض عينيهِ ... ومات

وأعجب الناس بروديل ، وجعلوا حبه أسطورة . فرئت
فى أوربة ودوت ؛ وهام الناس بالشرق . وجعلوا الأميرة ميليزاند
رضاً ... وصوروها واقفة على شاطئ البحر ، بين بدى الأمواج
تنادى الأمراء ، وتنادى الملوك ، وتنادى الناس « تعالوا وانظروا
إلى الأميرة البعيدة ... تعالوا إلى البلاد القدسة »

صموح الرب النبى

تمثلتها فى قصرها الساحك ، فوق صخور الشاطئ ،
رافعة يدها توى « أن هلموا إلى ... أنا ميليزاند ، أنا الأميرة
الحسنة ! »

إنها أسطورة ملؤها الخيال والجمال ، والغامرة والشعر !
إنها حلم زام رفان ، ومعنى بعيد بعيد !

فى بلدة هادئة من « بلأى » كان « روديل » الفتى الجليل ،
ذو الجسم القوى ، والوجه الصييح ، يرسل أشعاره الملائى
بالشجر والحب والأنين . لقد كان يحب ميليزاند الحلوة
كالصبح ، المشرفة كالنور ، الرافعة كالورد . فكان يتمثلها
فى خاطره ، ويداعبها فى خياله ، ولا يستطيع أن يراها .
ما أبمدها عنه ... آه فى الشرق المسحور القاصى ، وهو
فى « بلأى »

ولم يعطى صبراً عنها ، فقد كانت تقسه ناعمة يهزها كل شيء .
ويؤثر فيها كل شيء . كانت كالقيثارة تمر عليها النسمة الخفيفة ،
فتترك وراءها نغمة مطربة أو هزجة ناعمة

وكان يرسل أشعاره فى هدأة الليل ، تحت القمر . وكان
يجب تغريد المصافير ، فإذا صممت ذكرته حبه البعيد . يقول :
« عند ما تطول أيام مايو ، تلذلى أغرودات المصافير .

فإذا صممت هاجت فى قلبى ذكرى حب بعيد . فأعود مفكراً
مطرقاً ، فلا أناشيد الرقاق تفرج القلب الحزين ، ولا رفيف الزهر
يهمج النفس الكادى

« أى فرح ميسرق فى نفسى عند ما أراها وأطلب أن
تضيفنى ! سأسألها الضيافة ، بالله ، وبالفرية . وعندئذ ، يما ألد
أحاديث الماشق البعيد ، بقرب الأميرة البعيدة . وهو ينم
بصفاء عينيها الحلوتين »

« ثم ... ثم أركها ، واحسرتاه ، حزان أو فرحان ،
راضياً أو كارهياً ، فلا أراها أبداً ! »